Available online at http://jgu.garmian.edu.krd

Journal of University of Garmian

https://doi.org/10.24271/garmian.2023.10368

# وسائل الدعوة الفرعونية في القرآن الكريم

**عبدالرحمن محمّد عارف محمّد أمين[١]، عثمان محمود سعيدالله[٢]**

١- قسم أصول الدين، كلية العلوم الإنسانية، جامعة حلبجة، اقليم كردستان العراق

٢- قسم أصول الدين، كلية العلوم الإنسانية، جامعة السليمانية ، اقليم كردستان العراق

**Article Info**

Received: April, 2023

Revised: April, 2023

Accepted: May, 2023

**Keywords**

الوسيلة، فقه الوسيلة، الدعوة الفرعونية، فرعون

**Corresponding Author**

mahammadbakr1968@gmail.com

dr.osman.mahmwd@gmail.com

## الملخص:

هذا البحث المعنون بـ: وسائل الدعوة الفرعونية في القرآن الكريم، مستلّ من أُطروحتي للدكتوراه الذي عنوانه: فقه المقاصد والمآلات من خلال دعوة موسى (عليه السلام) في القرآن الكريم-تحرير الإنسان أُنموذجاً- دراسة تحليلية، و أبحث فيه عن الوسائل المستخدمة، والأدوات المستقدمة في الدعوة الفرعونية إلى تأليه نفسه و رفض رسالة النبي موسى(عليه السلام) و من ثمّ فرض جبروته و غطرسته على الناس كي يعبدوه من دون الله!، لذلك كله أكتب مقدمة تتكون من أربع فقرات الأولى: لماذا هذا البحث وما أهميته؟، والثانية: دراسات سابقة، أما الثالثة: فمنهجي وطريقتي العلمية، وفي الرابعة: أقدّم هيكلاً للبحث و محتواه، ثم أقوم في تمهيد بالتحدّث عن موضوع : في (فقه الوسائل) و (فلسفة إيجادها)، أما في المبحث الأول فأثير مسألة مهمة بعنوان: الأبعاد السبعة للوسائل، و في المبحث الثاني: البحث عن الوسيلة أقصّ قصة البحث عن الوسائل وضروته، وعند وصولي الى المبحث الثالث المعنون بـ: منهج القرآن في صناعة الوسائل (الفقه أولاً) أبحث فيه عن الوسيلة في مفاهيم الأنبياء، و أذكر أنّ فرعون قد جمع بين فساد القصد و فساد الوسيلة، أما في المبحث الرابع : (الطرائق الأربع المجملة) للوسائل الفرعونية، أجمِل مذاهب فرعون في وسيلة الفساد والإفساد، و في المبحث الخامس: المفصّل القرآني للوسائل الفرعونية (الإتجاهات العشر) أفصّل في الوسائل التي اتخذها فرعون في فترة سلطته المطلقة حتى هلاكه، وأتأمّل قرآنياً المجالات الواسعة التي أنتجتها الفرعونية في الوسائل الدعوية لرفع شأن فرعون في كل مكان و زمان بعيداً عن مخافة الله سبحانه، وأكتب في نهاية البحث نتائجه في عدة نقاط واضحات ومهمات.

## المقدمة:

**الحمد لله و الصلاة و السلام على محمد رسول الله و على آله و صحبه أجمعين**

كي لا أدخل في تفصيلات غير مفيدة و ربما لا تخدم جوهر البحث من أجل هذا ألخّص مقدّمة البحث في الفقرات الآتية :

### الأولى : لماذا هذا البحث وما أهميته؟

أهمية هذا البحث يَكمن في عنوانه و في مضمونه، لأنّ مفردات العنوان (وسائل الدعوة الفرعونية في القرآن الكريم) تحمل خبراً جديداً، واهتماماً مستحدثاً، وعملاً علمياً طرياً و طازجاً، فآمل من كل قلبي، و أرجو من الله سبحانه الاّ أُخيّب ظنكم، ولا أُثبّط ثقتكم، ولا أُخفق أملكم، فإن فقه الوسائل لا يقل قيمة عن فقه المقاصد، لا سيما اذا كانت الدراسة مخصوصة بوسائل نشر الفكر الفرعوني من خلال الآيات والسور القرآنية.

### الثانية : دراسات سابقة

فان مما لا شكّ فيه أنّ الكتابة عن الوسائل و الأسباب ليست منعَدمة، فهناك كتب قديمة، و لدينا بحوث و كتب معاصرة أدّت دوراً محترماً في عرض الوسائل و حكمها و أنواعها، أمّا البحث حول الوسائل الدعوية الفرعونية في القرآن الكريم فلم أجد -حسب علمي- عنواناً بهذا الشكل، و قد يكون في مكان ما و جامعة ما كتب و بحوث قريبة من هذا العنوان أو فصول خاصة داخل أطروحات

جامعية لكنني لم أطّلع عليها، وذلك الانعدام للعنوان و للمحتوى الخاص به دفعني إلى الكتابة فيه و البحث عنه .

**الثالثة : منهجي و طريقتي العلمية**

إنّ المنهج العلمي لأيّ بحث جامعي إذا كان الباحث موفّقاً فيه يُعطيه الجرعة القوية لدرجة القبول و مستوى الاستقبال، وقناعتي في هذا الخصوص وفي هذه الدراسة أن منهج (الاستقراء والتحليل والتأمل) و البحث وراء (المستورات من الحِكم و العِبر) أشدّ ضرورة لواقعنا وعصرنا، لذلك اعتمدت عليها و جعلتها طريقة فضلى في تأسيسي لهذا البحث .

**الرابعة : هيكل البحث و محتواه** هيكل البحث يتألف من: تلخيص البحث في أسطر قليلة، وأذكر بعده كلمات مفتاحية، و إثره كتبت مقدمةً، ثم تجد تمهيداً تحت عنوان: (فقه الوسائل) و (فلسفة ايجادها) ثمّ يأتي المبحث الأول بعنوان : أبعاد الوسائل. يليه المبحث الثاني: البحث عن الوسيلة. ثمّ في المبحث الثالث أتحدّث عن: منهج القرآن في صناعة الوسائل،الفقه أولاً، ويتلوه المبحث الرابع الذي أخصصه لـ:(الطرائق المجملة) للوسائل الفرعونية. وفي النهاية عند المبحث الخامس أتكلم عن: المفصّل القرآني لوسائل الدعوة الفرعونية وهي عَشُرُ إتجاهات ، ثمّ أكتب خاتمة قصيرة، إضافة إلى ملخّصين شديدين للبحث باللغتين الكردية و الانكليزية .

## تمهيد

## في فقه الوسائل و فلسفة إيجادها

في مبحث (وسائل دعوة موسى-عليه السلام-في القرآن الكريم) داخل أُطروحتي للدكتوراه وقفنا طويلاً عند مقاصد (الوسيلة) اللغوية والاصطلاحية وسحّبنا شيئاً من المخزونات العِبَرية والفقهية العامة من قعرهما، أمّا الآن نبحث الوسيلة بطريقة أخرى خارجة عن قصة اللغويات والاصطلاحيات والخلافيات المتداولة بين علماء اللسانيات وفقهاء الاصطلاحيات، في ذلك المبحث ذكرت أنه" ما زال (فقه الوسائل)- على ما أنفق فيه من كرائم الجهد والوقت والرأي- طريَّ العود، فجَّ الثمرة، إذا قيس بشقيقه الأكبر (فقه المقاصد) "(1). يحاول الأعداء قديماً وحديثاً ألاّ يحصل العباد على أيّ وسيلة مادية أو معنوية تُغيّر من حالهم السيء إلى حال حسن أو أحسن، ويعترضون على امتلاك أبسط سبب يؤدي بالمسلمين الى الاكتفاء الذاتي في النماء أو الغذاء أو الدواء أو السلاح أو التعليم أو الأمن أو السِلم، فلا أمان، ولا ضمان، أمّا وسائل الهدم، وأسباب التخريب لفكر الفرد، وروح الأسرة، وقوالب المجتمع والدولة المسلمة فهي مجانية ومُهداة لكل مسلم يريد إفناء نفسه، ودينه، وتراثه، وحرثه، ونسله، و في أكثر الحالات يبيعوننا وسائل الهدم، والهتك، والهدّ لكياننا، وكتابنا، وكرامتنا ويأخذون عوضاً عنها الدماء، و الثروات، والثمار، والزروع، بل و وجودنا كله!.

الأعداء طمّاعون في صلاتنا، و جوّاعون لسرقة سلاحنا، وأكّالون لأموالنا وطَولنا، وقتّالون لأبنائنا وبناتنا، يريدون إبطال الصلاة، وإعطال السلاح، وإدحاض أمتعتنا وإفسادها، فلا صلاة لنا تبقى بين صدورنا، وهي الوسيلة الأعلى لتوطيد العلاقة مع الله، ولا سلاح لنا يبقى بين أيدينا وفي جَعبتنا، وهي الوسيلة الأنكى لتأمين السلامة، وتجويد الحفاظ على مواكب الايمان، ومحاضن الإسلام، ومجامع المسلمين أينما وجدوا، ومتى ما كانوا. قال الله تعالى: (وَإِذَا كُنْتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ الصَّلَاةَ فَلْتَقُمْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ مَعَكَ وَلْيَأْخُذُوا أَسْلِحَتَهُمْ فَإِذَا سَجَدُوا فَلْيَكُونُوا مِنْ وَرَائِكُمْ وَلْتَأْتِ طَائِفَةٌ أُخْرَى لَمْ يُصَلُّوا فَلْيُصَلُّوا مَعَكَ وَلْيَأْخُذُوا حِذْرَهُمْ وَأَسْلِحَتَهُمْ وَدَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ تَغْفُلُونَ عَنْ أَسْلِحَتِكُمْ وَأَمْتِعَتِكُمْ فَيَمِيلُونَ عَلَيْكُمْ مَيْلَةً وَاحِدَةً وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِنْ كَانَ بِكُمْ أَذًى مِنْ مَطَرٍ أَوْ كُنْتُمْ مَرْضَى أَنْ تَضَعُوا أَسْلِحَتَكُمْ وَخُذُوا حِذْرَكُمْ إِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُهِينًا)102-سورة النساء.

وعند الربط بين معاني النهايتين في الآيتين ينكشف لك سرّ=تعليل قبلي، و سرّ=تعليل بعدي فأما القبلي المكتوب في نهاية الآية 101: (إِنَّ الْكَافِرِينَ كَانُوا لَكُمْ عَدُوًّا مُبِينًا)لأن" عداوتهم للمؤمنين ظاهرة، وكراهتهم لهم شديدة. أيّ: إنّ الكافرين كانوا وما زالوا بالنسبة لكم-أيها المؤمنون- يظهرون العداوة، وما تخفيه صدورهم لكم من أحقاد وكراهية أشدّ وأكبر. وقد أكّد- سبحانه- هذه العداوة بـ(إنّ) الدالة على التوكيد، وبكان المفيدة للدوام والاستمرار، وبوصف هذه العداوة بالسفور والظهور، لكي يحترس المسلمون منهم أشدّ الاحتراس"( ) وأما البعدي من التعليل و السرّ في نهاية الآية102: (إِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْكَافِرِينَ عَذاباً مُهِيناً) " قصد به تشجيع المؤمنين على مقاتلة أعدائهم وأخذ الحذر منهم. أيّ: إنّ الله- تعالى- أعدّ لأعدائكم الكافرين عذابا مذلاً لهم في الدنيا والآخرة. أمّا في الدنيا فبنصركم عليهم وإذهاب صولتهم ودولتهم..وأما في الآخرة فبالعذاب الذي يهينهم ويذلهم ولا يستطيعون منه نجاة أو مهرباً. وإذا كان الأمر كذلك فباشروا- أيها المؤمنون- الأسباب التي توصلكم إلى النصر عليهم"(2) .

و هنا يتبين للحصيف ربط القرآن وجمعه بين المقصد و وسائله، والغاية وأسبابها، أيّ بين الصلاة و السلاح، و بين الجماعة والجهاد، وبين صيحات التكبير و تموّجات بروق السيوف، و صلاليلها، و رقصة ضرياتها بأيدي أبطالها، و بين حَمحَمة الخيول وهيجانها، و طقطقة حوافرها عند شروق الشمس وغروبها، وبين المنابر و المآذن، والميادين والمجانيق، و"أنّ الإسلام بجانب هذا الاهتمام الشديد بشأن الصلاة فإنه يهتم أيضا بأن يأمر أتباعه بالحذر من مكر أعدائهم

ومن مباغتتهم لهم، بأن يكون المؤمنون مستعدين لصدّهم وردهم على أعقابهم، وأن لا يغفلوا عن حمل أسلحتهم حتى ولو كانوا قائمين للصلاة. وبهذا نرى أن الإسلام يربي أتباعه تربية روحية وعقلية وبدنية من شأنها أنْ توصلهم- متى حافظوا عليها- إلى ما يُعلي كلمتهم في الدنيا، ويرفع درجاتهم في الآخرة"(3).

ونفقه من مدخولات الوسيلة أنّ لها بعدين اثنين، بُعد إستدرائي واستبعادي، وبُعد استجلابي واستحفاظي، استبعاد لكل الغايات الفاسدة، والخطط المبيّتة السيئة، واستجلاب لكل الغايات الطيبة، والفوائد الخالصة في الكلّ أو الغالب. والآية نفسها أعطت الوسيلة بُعداً وجودياً ومعنوياً، بمعنى أنّ الحياة لا معنى لها، ولا سعادة فيها، ولن ينعم شخص بالسلام والاطمئنان بدونها، وأنّ يكون للمسلم وجوداً حقيقياً، وموجاً تلو الموج يُكنّس كل شائبة نفسية، وقذارة فكرية، ووَساخة سلوكية، ونجاسة احتلالية، إنْ لم تكن منجم الوسائل مجهزة، وباب الأسباب مشرّعة، ومخزن الوسائط ممهّدة؟!، وهي كلّها مسنودة بالسند الشرعي، ومحرّضة بالتحريض القرآني، ومقررة ومفعّلة بالتقرير والفعل النبوي؟!(وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تُظْلَمُونَ)60-سورة الانفال.

## المبحث الأول

**أبعاد الوسائل** من زوايا آية النساء(102) وآية الأنفال (60) نفهم أنّ للوسيلة بُعداً عقدياً، وبُعداً أصولياً، وبُعداً رسالياً، وبُعداً جماعياً، وبُعداً علمياً، و بُعداً مقاصدياً، و بُعداً حضارياً. و اليكم موجزاً للبُعديات السَبْع :

1-البُعد العقدي للوسيلة: معناه بما أنّ الله قد أمر بها، وأرشد عباده للأخذ بها واستخدامها والاستثمار لها، فلازم هذا البُعد والأمر العقدي أن نعتبره جزءاً من كلام الله، وبيانه، لأن الانحناء لكلامه و أفعاله سبحانه هو جوهر العقيدة، ومظهر الاسلام،وصميم الإيمان، وزبدة الانتماء، وخلاصة الانتفاض والانتعاش والاستنارة به، وهو -أي اللازم العقدي- ضمان للثواب، وأمان من العقاب. فيكفي للبعد العقدي للوسائل أنْ نقول أن الله سبحانه قد أمر بها عباده للاستمساك بها.

2- البُعد الأصولي للوسيلة: يعني أنّ البحث والقبض على الوسائل بات جارياً بين أحكام الواجب، والمندوب، المندوب الدائم غير الجائز بالإهمال أو التنقيص من شأنها، أو التهميش في حقها، وذلك لترتيب الأفكار بالوسائل الى أبهاها، وتغيير الأوضاع بالأسباب الى أحسنها، وتنظيم الأعمال بالأدوات إلى أصلحها في كافة المسارح الفردية، والأُسرية، والحزبية، والمنظماتية، والمجتمعية، والحضارية، وعلى جميع السبل، وفوق المنصات الصراعاتية، وعند الميادين الشجارية بين الأمة وأعدائها في الداخل أو الخارج .

3-البُعد الرسالي للوسيلة : الذي يفهم منه أنّ الحكمة والحكومة، والسلاح والسلام، والقوة والقول، من أبناء العمومة وأحفاد الجدودة الواحدة!، فالإنسان العدو لله ولعباده-بالمصطلح القرآني كما في آية الأنفال-مهما علا في رقيّه المادي، وكمل في وجهته الدنيوية لا يسمح بالدين يحكم حيث يشاء، ولا يأذن للسلطة الدينية كيفما أرادت وخططت لتتحكم في السياسة و السيادة و الاستقلال الدستوري والاقتصادي والعسكري والعلمي والتقني للشعوب المسلمة.

4- البُعد الجماعي أو الحزبي أو الفِرَقي للوسيلة: نتعلم منه أنّ صناعة الوسائل واختيار صالحها من فاسدها، وجعلها جالبة للمقاصد، وحاصلة للمطلوبات شأن حزبي، وشريعة جماعية، وعمل فرَقي، ولن يأتي ظلها ولا ثمارها الاّ بالتخطيط والتنفيذ الجماعيين، والنصائح القرآنية، والتوجيهات النبوية تقع على هذا النحو، لينظر كل منا في آية الأنفال كمثال عندما يأمر بالإعداد أي إعداد الوسائل، وإرهاب العدو أي بالوسائل، والإنفاق على الإعداد أي على الوسائل، وهذه أدلة كثيرة كافية للعاقل الآخذ بالقرآن، والواقف تحت سلطانه.

5-البُعد العلمي للوسيلة: الذي أكسبها القرآن و أهلّت في أنها تحتاج الى مراحل من الكشف و الغربلة والتذويب و التقولب والتفريز والتصنيع حسب استخداماتها المتنوعة والابداع فيها ثم صرف الهمة في كيفية العمل بها، والانتاج منها، وتسخيرها للإقتراب بها من المقاصد، ثم التفاعل بها، والتلاحم معها، وهذه المراحل يحكمها العقل العلمي، ويسيطر عليها العمل العلمي، ويربط بين مقدماتها ونتائجها الجهد العلمي المنظم، تمهّل ولو هنيهة وتعمّق ولو لساعة في (المصطلحات الوسائلية) ومراحل تطويرها في التصنيع، والتسخير، والتثمير من(السدّ) و(القوة) و(الردم) و(الحديد) و(الصدف) و(النفخ) و(النار) و(القِطر)، لترى كبريات الفهم والتفهيم القرآني لمعاني الوسيلة، وأعيانها، وأغراضها، وقوتها، وقيمتها، وقراراها في بناء رسم الانسان، وتخطيط البلدان، وتنجيز العمران، ورصّ البنيان: قَالُوا يَاذَا الْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَى أَنْ تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا، قَالَ مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا، آتُونِي زُبَرَ الْحَدِيدِ حَتَّى إِذَا سَاوَى بَيْنَ الصَّدَفَيْنِ قَالَ انْفُخُوا حَتَّى إِذَا جَعَلَهُ نَارًا قَالَ آتُونِي أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْرًا، فَمَا اسْطَاعُوا أَنْ يَظْهَرُوهُ وَمَا اسْتَطَاعُوا لَهُ نَقْبًا)94- 97 سورة الكهف.

6- البُعد المقاصدي للوسائل:لأنّ خَلقها اللاّ معدود من الله سبحانه، واستصناعها اللاّ محدود من قبل الإنسان يولّد منه استجلاء لجواب سؤال كبير: لماذا الوسائل وما الغاية من إنشائها وانتشارها في كل مكان و زمان؟، البحث وراء جواب، أو أجوبة لهذا السؤال يجرّ الإنسان السائل المحقق الى التعاقد الاضطراري بين الوسيلة والغاية، وبين الخلق والأسرار الماورائية، والايجاد والماهية، وبين (الكميّات) و(الكيفيات) و(الحِكَميات)،كل هذه العمليات الفكرية، والمحاكمات العقلية، والسجالات والتأملات، أنجبت الأحكام، والأغراض، والمقاصد، والغايات، وأُخرِجَت منها بناتها وأخواتها وخليلاتها.

7-البُعد الحضاري -بجناحيه المدني والثقافي- للوسيلة: أسهم إسهاماً كبيراً في نشر حقيقة العلاقة الأبدية المبرمة بين الانسان وآماله عبر الوسائل، وبين الانسان ومستقبله من خلال الآليات، وبين الانسان ومهماته ومساعيه من منطلق توافر وتناسل المعدات، وكذلك بين الإنسان وعاقبة تدينه، وتقواه، وتحركاته، وتوقفاته، وتقلباته من وقع و واقع ركوبه و سياقته للناقلات والمركبات و كيفية الحركة بها، لأنّ الوسائل -المادية والمعنوية- في ذاتها وعند استيثارتها واستفعالها تضمن بناء حضارة المتقين، وتكفل مستقبل المؤمنين، وتؤمّن تديّن المسلمين، وتُحسّن من فُرص انتصار جماعة المحسنين على الفاسدين والمنافقين والكافرين.

## المبحث الثاني

## البحث عن الوسيلة

حمل الأسلحة، هي ملِكة الوسائل إذا اردتم، كما تأمر به آية النساء102، و وضع الأصبع على الزناد هل المقصد بهما الحفاظ على فريضة الصلاة، أم من أجل الحفاظ على حياة المصلي؟، وهل هما من أجل العبادات وتنفيذها في مناطاتها أم من أجل العباد وحماية حياتهم ؟. يبدو والله أعلم أنّ حمل السلاح والحذر من الأعداء والوقوف بالمرصاد أثناء الصلاة هو من أجل حياة المصلي والعابد أولاً، ثم من أجل الحفاظ على فريضة الصلاة، لأنّ بعضاً من أجزاء الصلاة مثل الخشوع، وتطبيق أحكامها الوجوبية والسننية، والتعمق في معانيها واشاراتها، والتجرد الكامل والانقطاع الكلي قد ضحّى به القرآن الكريم من أجل الحفاظ على المسلم المصلي، والكيان المسلم، والجماعة المجاهدة.

فالصلاة تُقضى وتُعاد عند المقتضي، وليست من الضرورة الشرعية أنْ تُعاد وتُقضى كل حين كما في حالة الخوف من العدو-وحالات أخرى مشروحة في كتب الفقه- فهؤلاء يودّون ذبحكم، ويشتاقون الى إهلاككم، ويعشقون موتكم بالسُمّ والسياط والسرطان!(وَدَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ تَغْفُلُونَ عَنْ أَسْلِحَتِكُمْ وَأَمْتِعَتِكُمْ فَيَمِيلُونَ عَلَيْكُمْ مَيْلَةً وَاحِدَةً)102-سورة النساء. أما حياة المسلم وَرُوحه فلن تُعاد وهي تُمحى الى الأبد، لذلك أصبحت صلاة الخوف وسيلة لحفظ حياة المسلم من عبث العدو وعدوانه، وسوء طويته، ومن المعلوم أنّ الصلاة وسيلة لاسترضاء الله واستهدائه واسترحامه واستغفاره، والسلاح وسيلة للدفاع، وصد العدوان، وفرض السلام، وارجاع الحقوق، وحفظ كيان الأمة والدولة من خطر الغزاة، وارهاب المتربصين، والمنافقين، والخارجين عن الدستور والأخلاق والآداب العامة، ومهددي المصالح العامة، وناشري المفاسد المادية والمعنوية على مستوى المجموعات المنظمة أو الأفراد المنتمية الدخيلة عن فكر الأمة وعقيدتها ومصالحها ومقاصدها.

فالمؤمن عندما يكون مختاراً بين الوسيلتين فلا عليه الاّ أنْ يفضّل ويُقدم في ساحات الوغى، وميادين الدم، ومصارع السيف، حفظ الحياة وبقاء المجاهدين من حاملي السلاح، وحرّاس الثغور، وحماة الحدود والدستور على بعض (خصوصيات الصلاة) وعدد من أعمالها الظاهرية والباطنية، مثل إتجاه القبلة، وتقليل الركعات، وتخليط الخوف والحذر والمراقبة في واقع الصلاة. وقد يقول قائل أن حياة المجاهد رغم قيمتها العليا من حيث المبدئية والوجودية والوسيلية الاّ أنها تُعتبر ثمناً زهيداً أمام إقامة الصلاة، وعدم اضاعتها، والالتزام بها في أوقاتها. وهذا له وجه معقول لكن ليس هنا مكان مناقشته.

أما حقيقة أنّ الصلاة وسيلة معنوية فردية وجماعية أصلية دائمة، واستخدام السلاح وسيلة مادية فردية وجماعية فرعية مؤقتة، ففي بعض أحايين الحروب تضطرّ أنْ تقدم وسيلة السلاح وحامله، والسلام وحاميه على الالتزام ببعض حرفيات وشكليات الصلاة وبعض أذكارها وأعمالها وحركاتها (فَإِذَا قَضَيْتُمُ الصَّلَاةَ فَاذْكُرُوا اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَى جُنُوبِكُمْ فَإِذَا اطْمَأْنَنْتُمْ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَوْقُوتًا)103-سورة النساء.

## المبحث الثالث

## منهج القرآن في صناعة الوسائل، الفقه أولاً

للقرآن الكريم منهج خاص لعرض الوسائل وتفجير ينابيعها، وتوسيع مناجمها، ولمعرفة تلك الينابيع والمناجم سيَحرم نفسه مَن لم يتفطن للمنهج القرآني الذي ألهم الإنسان، وحضّه بالثواب والثمرات، وخوّفه بالعقاب والنكبات لمن لم يَصعد ويُصعّد في فنون الوسائل، وصناعتها، والثورة بها، ففي وسيلة (السنبل) القرآنية، ومحمولاتها الإرشادية في ترفيع مقام الوسيلة، ووسيلة (القميص) اليوسفية ومدّخراتها الاشارية في توقير علو الوسيلة، نتعلم أن للوسيلة، والإبداع فيها، وإيداعها في مساقاتها، والانجاز الفكري والفعلي بها شأناً عظيماً تصل

الى مكانة المقاصد ودرجاتها في الحل والحرمة والوجوب والاستحباب(قَالَ تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأَبًا فَمَا حَصَدْتُمْ فَذَرُوهُ فِي سُنْبُلِهِ إِلَّا قَلِيلًا مِمَّا تَأْكُلُونَ)47-سورة يوسف،(اذْهَبُوا بِقَمِيصِي هَذَا فَأَلْقُوهُ عَلَى وَجْهِ أَبِي يَأْتِ بَصِيرًا وَأْتُونِي بِأَهْلِكُمْ أَجْمَعِينَ)93-سورة يوسف،(فَلَمَّا أَن جَاءَ الْبَشِيرُ أَلْقَاهُ عَلَى وَجْهِهِ فَارْتَدَّ بَصِيرًا) 96-سورة يوسف و" الخلل في الحياة، والفساد في المجتمع ، ينشأ من جهتين، إما من جهة مقاصد الناس وغاياتهم، إما من جهة أعمالهم التي يتوسلون بها الى تحقيق المآرب قال تعالى : وَلَوِ اتَّبَعَ الْحَقُّ أَهْوَاءَهُمْ لَفَسَدَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ)71-سورة المؤمنون. وقال تعالى: ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ)41-سورة الروم. فالآية الاولى تدل على الجهة الاولى والآية الثانية تدل على الجهة الثانية. و قد جمع فرعون بين الاثنين في فساد القصد وفساد الوسيلة، والفرعونية في كل زمان ومكان تجمع بين إفساد النوايا والمقاصد، كأن يكون كل شيء من أجل الهوى والشهرة و الشهوة و السيطرة، وبين إفساد الوسائل والأسباب، كأن يكون الهدم و التهديد و التدليس و الكذب و الخيانة و القتل ..الخ وسائل للوصول الى الغايات، لذلك أقول: إنّهم يجمعون بين الغايات الوضيعة والوسائل السخيفة. فهم مدانون و مجرمون من الجهتين.

والوسيلة وسيلتان: وسيلة غير عاقلة وغير مكلّفة كالسلاح بين يدي راميه ومُطْلقيه، والوسيلة المكلفة والعاقلة كالإنسان الذي يحمل الأسلحة والأمتعة ويستخدمها حسب الحاجة أو يقوم بتجميدها وحصرها عن الحركة، الإمام سعيد النورسي يرى أنّ الوسيلة وسيلتان (الوسيلة الحية) و(الوسيلة الميتة) و" أنّ ما يوصل اليك -بحسب الظاهر- من الوسائل، إما له اختيار أو لا، وما لا اختيار له، لا ريب أنه يعطيك ما يعطيك بحساب الله وباسمه، فخذ أنت وكلْ بسم الله، وتوجه بتمام شكرك اليه،.. وإما له اختيار ما، فلا تأخذ ولا تأكل منه ما لَم يُذكر اسم الله عليه، أيّ بإخطار صاحبه الحقيقي وبتوجيه نظرك اليه كما ترمز اليه الآية: وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ..)121-سورة الانعام. فإن لم يذكر هو، فاذكر أنت، وانظر من فوقه الى مَن أنعم عليه وعليك، فانظر في النعمة إلى الإنعام ومنه الى المنعم الحقيقي، فاشكره بهذا النظر، فإن هذا النظر شكر، ثم ارجع إنْ شئت وانظر إلى الوسيلة وادع له مثنياً عليه بسبب إرسال النعمة على يده، وإياك إياك يا قلبي أنْ تنظر أولاً وبالذات الى المنعم الظاهري..."(5) .

فرعون لم يعترف ولم يأبه بنعم الله عليه، فالوسائل غير المتناهية كافية ليعرف الفرد مدى حاجته الى أنْ يكون عارفاً وشاكراً وممتناً لله سبحانه، فَأكَلَ من نعم الله وتمتع بها الى آخر رمق من حياته دون ذكر إسمه، ولم يطلب بركته، بل ناصب العداء، ونشر الداء، وناكر الجميل والوفاء لله ولعباده ولرسله، إن "الإنسان بالبداهة هو أشرف الأسباب وأوسعها اختياراً وأشملها تصرفاً في الأمور، كما في أظهر أفعاله الاختيارية، في الأكل والكلام والفكر والتصرف والحركة واتخاذ المواقف "(6). و" إن الوسائل التي استعملوها..وهي اشاعة الفساد بالفلسفة الفرعونية الضاربة في الانحراف مع الحطّ من شأن رسولَيهم–موسى وهارون- بالإهانات وتهوين مسلكهما.. هذه الوسائل والأسلحة هي التي يستعملونها لدى هجومهم..الاّ أنهم انخدعوا، لأنّ مسلكهما قد أُسس على الاخلاص التام، وترك الأنانية، واستشعار الرحمة الالهية في زحمة الأعمال ومشقتها، وتحرى اللذائذ الباقية وتذوّقها في أثناء الآلام العابرة، وإظهار الآلام المبرحة في لذائذ السفّه نفسها، وبيان أنّ مدار اللذة الخالصة غير المتناهية في الدنيا أيضا هو في الايمان،..لذا ستخيب آمالهم، وتبوء خططتهم بالإخفاق بإذن الله..."(7).

وما نقصد بالوسائل الدعوية والتفريق بها بين الداعي الى الله والداعي الى الفرعونية يمكن أن نختصرها بأنها " كل شيء مادي -في الغالب-، يستخدمه الداعي لتحقيق أهدافه وغاياته الدعوية للوصول الى أفضل النتائج المرجوة..وإنّ الاسلوب الدعوي هو : الكيفية أو الطريقة المرنة غير المادية التي يؤدي بها الداعي عملاً ما، عبْر الوسيلة، سواء كان فكرياً أو مادياً للوصول إلى أفضل النتائج،...إن الأساليب الدعوية تتناول – غالباً- الجوانب المعنوية الفكرية والعقلية التي تستند إلى غير المحسوس في عملها، إذ هي أفكار وخطط وعمليات، أما الوسائل -في عمومها- فإنها تتناول الجوانب المادية المحسوسة، حيث هي تحمل الأفكار والخطط وتوصلها الى الجهة المقصودة، فالأفكار والرؤى التي تخطط وتدبر الأمور المراد عملها هي أساليب، والاشياء التي تباشر وتنفذ في الواقع المشاهد الملموس في علم الحس هي الوسائل"(8) .

إنّه بكل سلاسة كان لفرعون دعوة، وسياسة خطابية، وإجراءات كلامية تثقيفية إعتصارية واحتباسية تهدف الى تحويل العابدين من عبودية الله الى العبودية لفرعون!، ومن الدعوة الى الواحد الأحد الى الدعوة لفرعون الوحيد الذي لا مثيل له في مسعاه الظلامي، ومقصده الإجرامي، وكانت لتلك التحولات القهرية، والتغيّرات القسرية وسائل غير انسانية، وأدوات ومكنات كانت خالية من الرحمة، وخامدة للرأفة، وقاتلة للشفقة، منها القتل بأنواعه، والذبح بأشكاله، والإفناء بصوره، فأبدع في القتل أيّما إبداع، وتمادى في قتل الإنسان في إحساسه وسموه وكرامته وحياته الكريمة، وأطال في ذبح الحرية و الأمومة والأبوة، واشتّط في إفناء البراءة والطفولة والرجولة والسكونة.

## المبحث الرابع

## الطرائق المجملة للوسائل الفرعونية

أحاول ترسيم الوسائل الفرعونية في نشر الفساد و تثبيت الإستبداد بشكل موجز كما عرضها القرآن الكريم في أسلوب رائع يُمكن أن ألخصه في رباعية مركّزة :

الطريق الأول: قَتّل الحرية والانعتاق، وفَرَضَ الهيمنة الخانقة على رقاب الناس وحركاتهم، والتعتيم على آرائهم، ومنعهم من التعبير عن آمالهم واختياراتهم، وعَمَلَ على تنميط الحق والحقيقة بالنمط الفرعوني الذي رأى في نفسه المطلقية في كلّ شيء، والفوقية على كلّ شيء، والقطعية عند كلّ شيء!(قَالَ فِرْعَوْنُ آمَنْتُمْ بِهِ قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ..)123-سورة الأعراف.(قَالَ فِرْعَوْنُ مَا أُرِيكُمْ إِلَّا مَا أَرَى وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ الرَّشَادِ)29-سورة غافر، و"غرض فرعون بهذا القول، و قصده-في عرض نفسه حاملاً وسيلة الأمر و النهي كأنه يريد (المعروف) و ينبذ (المنكر)-التدليس والتمويه على قومه. وأنّه ما يريد إلا منفعتهم، مع أنّ الدافع الحقيقي لقوله هذا، هو التخلّص من موسى حتى يخلو له الجو في تأليه نفسه على جهلة قومه، فإنهم كانوا كما قال-تعالى- في شأنهم: (فَاسْتَخَفَّ قَوْمَهُ فَأَطاعُوهُ إِنَّهُمْ كانُوا قَوْماً فاسِقِينَ)54-سورة الزخرف، التدليس و التمويه وسيلة الكذاب ولكن الرجل المؤمن لم يسكت أمام هذا التدليس والتمويه الذي نطق به فرعون، بل إسترسل في نصحه لقومه..."(9).

الطريق الثاني: أزهَقَ أرواح الرجال، وقَطَع أعناقهم وأطرافهم من خلاف، وحرّمهم من الحياة، يسومهم سوء العذاب، و يقودهم إلى الأذية والعقاب(لَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِنْ خِلَافٍ ثُمَّ لَأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ) 124-سورة الأعراف،(..قَالَ سَنُقَتِّلُ أَبْنَاءَهُمْ..)127-سورة الأعراف (وَإِذْ نَجَّيْنَاكُمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ يُذَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ..)49-سورة البقرة.

الطريق الثالث: قتّلَ الأبناء، وقطّع الأنساب، وجفّف الإنجاب، وفطّم البراءة، وأنهى الطفولة الملائكية الطاهرة، أكبر نِعم الله، و ألذّها، وأطيَبها، وأجملها بعد الإيمان والإسلام والإحسان (وَإِذْ نَجَّيْنَاكُمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ يُذَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ)49-سورة البقرة،(..قَالَ سَنُقَتِّلُ أَبْنَاءَهُمْ..)127-سورة الأعراف.

الطريق الرابع : قَتّل الأُمومة وطمرها باستحياء الأمهات بعد ذبح فلذات أكبادهن، ورَجَم الأُبوة وعزتها وشموخها، وصَعَق السعادة وأباد نَشْرها، فبثَّ الحزن والهم، والروع والفزع في القلوب والدروب، بلاءً ما بعده بلاء، جفاءً ما بعده جفاء : (يُذَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ وَفِي ذَلِكُمْ بَلَاءٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَظِيمٌ)49-سورة البقرة. (يُقَتِّلُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ وَفِي ذَلِكُمْ بَلَاءٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَظِيمٌ)141-سورة الأعراف. وقضى بذلك على الأنوثة والحرثية لفترة طويلة وعصيبة، وأبقاهن إما رهينات البيوت والبلايا، أو سَجنهن في قصور فرعون وقارون وهامان رقيقات وخادمات وصبايا!.و" يَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ عطف على يُذَبِّحُونَ أي: يستبقون بناتكم ويتركونهن حيّات، وقيل: يفتشون في حيائهن ينظرون هل بهن حمل- والحياء الفرْج- لأنه يُستَحى من كشفه.. وأنّ استبقاءهم كان لأجل أن يصرنَ نساءً لخدمتهم.. وقدّم الذبح لأنه أصعب الأمور وأشقها عند الناس، وإنّ كان ذلك الاستحياء أعظم من القتل لدى الغيور"(10). وكان لفرعون في تبشيراته الإشراكية، وانذاراته الارهابية، ودعواته الإضلالية وسائل عديدة، وكيفيات غزيرة، وطرق قاسية وصَخْرية، منها مادية ومنها معنوية، كما أنّ منها وسائل سياسية واجتماعية واقتصادية، وكذا من بينها وسائل نفسية وفكرية وعقدية، وكان على رأسها وسائل اعلامية افترائية لتزوير الحقائق، وتشويه الوقائع، وتشريخ صورة موسى وهارون –عليهما السلام- في أذهان الناس وندواتهم ومجالسهم. واليكم عرضها في المبحث الخامس الآتي.

## المبحث الخامس

## المفصّل القرآني لوسائل الدعوة الفرعونية

أحاول قدر الإمكان استجماع المفصّل القرآني لوسائل الدعوة الفرعونية في عَشْر اتجاهات :

الإتجاه الأول: بحثت سابقاً في أنواع ظاهرة القتل الذي كان ينتهجه فرعون وهي وسيلة جسدية ومعنوية في آن واحد ، فلا أسوأ من القتل، ولا أشنع من الذبح لإنسان مظلوم الاّ الشرك والكفر بالله سبحانه، فبحدوث القتل، وإنهاء الإنسان من حق الوجود وحق الحياة يحدث القتل لكلّ شيء، والذبح لكلّ ذي روح، بل يحدث الضياع للحيوان، والإندثار للنبات، والفقدان للجماد، ويتلاشى الهدف والغاية من الحياة!، فبإماتة الانسان (سيد الكون) والقائد المكلّف عن إعماره وتجديده، وإقصائه من البقاء، واعتلائه القيادة سيموت المقود والمسود، ويندثر الإعمار والتجديد، وتندرس الأخيار والأخبار!. (مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ كَتَبْنَا عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا وَلَقَدْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُنَا بِالْبَيِّنَاتِ ثُمَّ إِنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ بَعْدَ ذَلِكَ فِي الْأَرْضِ لَمُسْرِفُونَ )32-سورة المائدة.

الإتجاه الثاني: من الوسائل المعنوية الاستهزاء بموسى-عليه السلام- والتنقيص من شأنه، والحطّ من مقامه المرفوع، وقامته النبوية المباركة، وهو مُشْرِق الدعوة الربانية، ومؤسِس مهدها، ومُشيد مجدها، وبازغ حاضرها ومستقبلها (أَمْ أَنَا خَيْرٌ مِنْ هَذَا الَّذِي هُوَ مَهِينٌ وَلَا يَكَادُ يُبِينُ)52-سورة الزخرف. الضرب على الدعوة وإصابتها بالشلل والردّى يجب أنْ يبدأ بضرب القائد والقطب الأول، هذا ما تخيّل به فرعون وتهذى به، ولم يقدر أنْ يفرق بين موسى الانسان و موسى النبي

المرسل من الرب الرحمن!. واقتدى بفرعون في مسعاه فراعنة الأجيال اللاحقة في غاراتهم على الدعوة والدعاة ولم يفهموا الدرس منْ أن الله وعد عباده بالنصر على أعدائهم، والتمكين لهم، وتبديل أوضاعهم من الإحتلال الى الإستقلال، ولم يزل يفعلون ذلك، وَلم يزل الله يفعل ما وعد به عباده .

الإتجاه الثالث: وسيلة أخرى أشدّ فتكاً، وأعمق جرحاً للواقع المجتمعي، والعلاقات الانسانية، الذي تبعه فرعون، وعمل بها جهراً وعلانية، هي سياسة التشيّع والتشظي ليسهل عليه التفرّد في التسلّط واستهلاك البشر لخدمة نفسه المستكبرة ومآربه الملعونة!،وجعل من التدابر والتباغض والتحاسد ثم التقاتل البيني دأباً أبدياً للانسان، وأصلاً معتمداً للآصرة الانسانية (إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ طَائِفَةً مِنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ) 4-سورة القصص، و الشيَعُ أي" فِرقاً يشيِّعونه في كلِّ ما يُريده من الشرِّ والفسادِ، أو يشيِّعُ بعضُهم بعضاً في طاعته، أو أصنافاً في استخدامه يستعملُ كلَّ صنفٍ في عملٍ ويُسخِّرُه فيهِ من بناءٍ وحرثٍ وحفرٍ وغيرِ ذلكَ من الأعمالِ الشَّاقةِ، ومَن لم يستعملْه ضربَ عليه الجزيةَ، أو فرقاً مختلفةً قد أغرى بينهم العداوةَ والبغضاءَ لئلاَّ تتفقَ كلمتُهم"(11)، وتأسى به فراعنة ما بعد فرعون الى يومنا هذا، ففرّقوا ما أمر الله به التأليف، وجمّعوا ما أمر الله به التجزئة و التمييز.

الإتجاه الرابع : جَمع فرعون بين وسيلتين في عقابه لطائفة واحدة، وسيلة (الاحتقار والاستضعاف) لمجموعة منهم دون أن يفسح لهم المجال ليموتوا موتة تريحهم من الأذى والهوان، و وسيلة (الاستحياء والاستذلال) لمجموعة أخرى وهنّ النساء، دون أن يمرّ على ضميره خيط إحساس بأنّ لهؤلاء كرامةً يجب صونها، وشهامة ينبغي عصمتها!. وكانت للوسلتين آثار ماحقة على إبعاد الناس من دعوة النبي موسى (عليه السلام)، وإذلالهم للوقوع تحت مراقبة القوانين الفرعونية، والحراسة لها، وعدم رفع الصوت أمامها بكلمة لا ولو في كوامن قلوبهم!. (إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ طَائِفَةً مِنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ)4-سورة القصص.

الإتجاه الخامس:لم يقف فرعون على وسيلة معينة واحدة لحشر الناس وذوبانهم حول دستوره وإدغامهم وإرغامهم على دينه ورؤيته، بل زاد على الأدوات السابقة أداتين جديدتين كانت لهما الدور الطائل في تطويل زمن الفرعونية، وتوسيع عذاباتها على مواطن مملكته، وهما (الاستخفاف) و(الاسترهاب)، فـ(بالاستخفاف) بالعقول يشعر الانسان لحظة وراء لحظة ومرحلة بعد مرحلة بوهنه الجسدي، وعَطَبه الحركي، وعجزه العقلي منْ أن يقوم بأي شيء مضاد للديدن الفرعوني، ومراد به الانقلاب على القيم الفرعونية والاجتياح على قوانينها. وبـ(الاسترهاب) ينتشر الخيبة، ويبسط القُنوط من أي شيء إصلاحاً أو تغييراً أو تعديلاً، ويشيع روح الانكسار، وضرورة الاستدبار من ميادين الحياة، وعدم القيام بالمسؤولية تجاه حقوق الله و النفس والناس أجمعين. واذا نجحت طاغية العصر في زرع الشعور بالنقص ، والإحساس بالفاقة والدونية سينجح في اللعب بهم وتسخيرهم سخرة الدواب على يدي راكبه وسائقه حيث يشاء ويشتهي.(فَمَا آمَنَ لِمُوسَى إِلَّا ذُرِّيَّةٌ مِنْ قَوْمِهِ عَلَى خَوْفٍ مِنْ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِمْ أَنْ يَفْتِنَهُمْ وَإِنَّ فِرْعَوْنَ لَعَالٍ فِي الْأَرْضِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الْمُسْرِفِينَ)83-سورة يونس.(فَاسْتَخَفَّ قَوْمَهُ فَأَطَاعُوهُ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ) 54-سورة الزخرف.

بالمقارنة بين وسائل فرعون الإفسادية، وأدواته الدعائية للاستبقاء على رقاب الناس، والاستبداد بحاضرهم ومستقبلهم، و من أجل القعود على أكتافهم وأعناقهم، و بغية الركوب على ظهورهم، وامتصاص أموالهم، وللاستئثار المطلق بها، والمنع المطبق لكل ما بهم ولديهم من الكلام، والكرامة، والكياسة وجعلها من محمياته الشخصية، و وراثته الذاتية، نجد أن من بين أسوء الأدوات، وأغلظ الوسائل في المرحلة الفرعونية كانت هي القتل للنفس والذبح من الوريد الى الوريد للفرد الإنساني، وانهائه من الوجود دون رحمة، وبلا رفق، ولا عطف، ولم يكن للشفقة طريق الى قلبه وضميره وإحساسه وانسانيته المفقودة أصلاً، فأثبت فرعون بذلك أنّه كان أحسد الناس، وأحقدهم على الإطلاق، وأحطّهم نفسياً ووجدانياً، فلم يحبّذ ولم يرق له قط أن يسمع خبر ولادة طفل وأفراح الأهل به، ولم يرضَ أنْ يلامس مَسمَعه ضحكات الأولاد، وصخبهم الماطر للسعادة البيتية، وصيحاتهم الملائكية، وما كان موافقاً أنْ يرى لعبة البنات وصرخاتهن البريئات، وضوضائهن المزماريات المباركات في البيوت والأكواخ والطرقات !.وقد كان أعدى أعداء فرعون مَن كان يدعو الى (انجاب الحرية) أو(حرية الإنجاب)!.

فـ(إنجاب الحرية) تعني نهاية تأريخ فرعون وإغلاق سوقه وصولاته الى الأبد، وبدء بداية جديدة لجيل جديد يكفر بفرعون وسياساته، ويؤمن بالله سبحانه ورسالاته. و(حرية الإنجاب) معناها أن الرجل الذي سينهي مملكة فرعون سيلد، وسيكبر، ويتربى، ويتمرّد على عرشه وهو أمام عينيه، ولا يقدر على فعل شيء يغيّر من القدر الذي ينتظره، ومن المصير الأسود و الأسوأ الذي سيأتي لا محالة!. لذلك عادى (الانجابين) وحاربهما قبل خروجهما ليعيشا تحت الشمس، فحكّم الحيف، وسلّ السيف على (الحرّيتَين) وأراد القضاء عليهما ومحوهما، بذلك الهمج من الأفعال أهلك نفسه، وجنده، وأباد أهله، ومَلأه، وأصبح عبرة معتبرة، وعظة بليغةً

ومتصدّرة، ملأ الزمان والمكان، وأَسّس الله سبحانه قاعدة تشريعية ثابتة ودائمة الى قيام الساعة وهي: أن الرضى والقبول من عدمهما لكلّ حاكم أو ملك أو أمير يُقاس بمدى و مساحة عدائه و مخالفته وحربه على النهج والتدّين الفرعونيين الهادف الى دفن المقصدين الربانيين الأعظمين، والمطلبين الالهيين الأحسنين وهما (حرية الولادة) و(ولادة الحرية)!.

فكان دستور فرعون أنّه خيّر الجميع بين الموت الحتمي أو العيش قائماً وراكعاً وساجداً لأهوائه وأباطيله وغرائزه. وبحروبه المجنونة تلك على الركنين من أركان الحياة، والعمودين من أعمدة (الخلافة) و(العبادة) و(العمارة) وتحقيق وعود الله لعباده بـ(التمكين) و(التبديل) و(التأمين) و(الثواب الأبدي) لم يكن أمامهم إلاّ السعي بقيادة موسى (عليه السلام) لحفظ حقهم في العيش، والتناسل، والتكاثر، وتحرير أنفسهم من الوسائل الفرعونية المتعددة للموت والفناء، والسعي لحفظ الكرامة والتكريم الالهيين لبني الانسان وحريته في الاختيار و التوقف و الامتناع. (وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ) 55-سورة النور.

الإتجاه السادس: من الوسائل المعتادة والسلوكيات المعادة لفرعون نَكثُه العهود، وجمعُه بين الكيد والكذب والبهتان لموسى–عليه السلام-، ومَن رأى من بني آدم في نفسه نقصاً، وفي كيانه ثقباً، وفي وجوده ضعفاً ولم يستطع أنْ يواجه الحق وجهاً لوجه ، وأصحابه ودعاته، لجأ الى مصنع الأكاذيب، ومَخترع المكائد .(فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمُ الرِّجْزَ إِلَى أَجَلٍ هُمْ بَالِغُوهُ إِذَا هُمْ يَنْكُثُونَ) 135-سورة الاعراف. (فَتَوَلَّى فِرْعَوْنُ فَجَمَعَ كَيْدَهُ ثُمَّ أَتَى)60-سورة طه.(قَالَ أَجِئْتَنَا لِتُخْرِجَنَا مِنْ أَرْضِنَا بِسِحْرِكَ يَا مُوسَى) 57-سورة طه.(قَالُوا إِنْ هَذَانِ لَسَاحِرَانِ يُرِيدَانِ أَنْ يُخْرِجَاكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ بِسِحْرِهِمَا وَيَذْهَبَا بِطَرِيقَتِكُمُ الْمُثْلَى)63-سورة طه، يعني أنّ هؤلاء-فرعون وأبواقه- أبدعوا كذبة مفادها " أنّ قصد موسى وهارون هو عزل فرعون عن ملكه، يجعله عبداً لغيره، واستقرارهما في مكانه، وجعل قومهما مكانكم. و إلجائكم إلى مبارحة أرضكم، وإبطال طريقتكم بسحرهما الذي يريدان إعجازكم به"(12) .

عندما يقرأ المرء هذه الآيات الصادقات في خطّ الحروب الكيدية الواقعات، والنزاعات الخصامية الجائرات، بقيادة فرعون: أُنموذج التمرّد على حقوق الله، خالق السموات، ومثال العدوان على حقوق الناس،سيد المخلوقات، وصورة مطابقة للمارق الفذّ من حق الكون والكائنات، وخارطة راسخة لحالة خاصة نادرة في تزوير الحق، وتشويه الحقائق اللامعات، وتجميل الباطل وتحسين الظلم والظلمات ، فالسكوت و الوقوف صامتاً ذليلاً يكون في صالح الفراعنة دائماً فـ" اذا ذابت حرية الفرد في سلطان الحكم المطلق، وشعر جمهور الأمة بالانزواء والانكماش أمام إرادة واحدة مكّنتها المصادفات من السيطرة والامتداد، فمن العبث أن تتّجه عناية المصلحين الى أفراد فقدوا ثقتهم، وأعطوا قيادهم لغيرهم، بل يجب حسم الأمر أولاً مع صاحب السلطة المطلقة، فإنّ بقاءه في وضعه العاتي يتنافى مع كلّ إصلاح"(13).

الإتجاه السابع: وسيلة أخرى ربما أشدّ فتنة، و هي إثارة الانتماء الأبكم الى الأرض، وفتح الأحضان لإحياء فكرة الاجتماع و التطواف الأصم حولها، ثم إشعال نار الافتراق و الاعتداء على الناكرين لها، فإذاعة السلام و إعلان الحرب على أساسها، و التهييج بها لصناعة العدو الوهمي بدافع الحب الأعمى، والتأييد الأعرج، و الموالاة المائلة للأرض، الأرض المخلوقة الخالية من الروح، و المحرومة من الارادة، والمنزوعة من القرار، اله مُبتَدع جديد من دون الوهية فرعون!، استعباد جديد لإله لا ينطق بكلام، و لا يبدئ بسلام، و لا يقدر أن يضرّ أو ينفع لا الآن و لا في سالف الأيام، أفّ لهم، و ويل لهم على ما اختلقوه من الأباطيل و السخائف والأوهام (قَالُوا أَأَنْتَ فَعَلْتَ هَذَا بِآلِهَتِنَا يَا إِبْرَاهِيمُ، قَالَ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا فَاسْأَلُوهُمْ إِنْ كَانُوا يَنْطِقُونَ، فَرَجَعُوا إِلَى أَنْفُسِهِمْ فَقَالُوا إِنَّكُمْ أَنْتُمُ الظَّالِمُونَ، ثُمَّ نُكِسُوا عَلَى رُءُوسِهِمْ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَؤُلَاءِ يَنْطِقُونَ، قَالَ أَفَتَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكُمْ شَيْئًا وَلَا يَضُرُّكُمْ، أُفٍّ لَكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ) 62-67سورة الأنبياء.

و المنطق في المفهوم الشركي، والمشروح الكفري مبني على الهوى، والمزاج الموَسوَس، و النزعة الذاتية الخارجة العابدة لمصلحة وقتية، والشاردة عن كل القوانين و الضوابط الأرضية و السمائية فـ"حين جابههم إبراهيم بهذا الجواب بهتوا، و وقع في أنفسهم هذا القول الذي قاله، أنّه حق، وأنهم على ضَلال، وما كان لهم أنْ يعبدوا هذه الدّمى، وتلك الخشب المسندة.. إنها لحظة خاطفة أشرقت فيها أنفسهم بنور الحق، واستبان لهم على ضوء هذه اللمعة أنهم على ضلال، وأنهم قد ظلموا أنفسهم بهذا الضلال الذي هم فيه، ولو وجدت هذه الشرارة المنطلقة من أعماق فطرتهم، شيئا من العقل المستبصر، والبصيرة النافذة لاشتعلت هذه الشرارة في كيانهم، وَ لأضاءت عقولهم وقلوبهم، و لَطردت هذا الظلام الكثيف المخيم عليهم.. ولكنْ ما أن كادت هذه الشرارة المضيئة تنطلق، حتى نفخ فيها الهوى، والضلال، فماتت في مهدها، وخبت في مكانها!"(14).

إنّ هذه المائلات من الأفكار الأرضية المقطوعة جذورها عن السماء،الخارجات من التوجّهات الطينية المخنوقة في محابس التجاهل و التعالي، يريدونها بدائل عن الانتماء و الحب

المرسل الى رب السماوات و الأرض، رب موسى وهارون، يريدون بها من العباد أن يعبدوا رباً كليلاً كفيفاً، كالأرض=التراب، الصنم المجدّد في زمن الخواء الروحي، والتيه الفكري، المستوردات كهدايا وهدايات فريدة من التجربة المادية الاستعمارية، ويرومون بتلك الإتجاهات و الموجِّهات أنْ يسجد الإنسان لإله زائل مثل فرعون و ما يؤمن به، إنسان يَجعل من نفسه إلهاً من دون الله، يا له من تعصب أعمى، الذي يؤدي الى إغلاق العقل و إسكاره، و يا حيف من تحجّر يائس أدّى الى إقساء القلب و إقلابه. و مَن فقد عقله و قلبه لا يجوز أن يقود نفسه، و يدير أموره و لو في مرتبته الحيوانية من المأكل و المشرب و المنام. عندما يفقد فرعون- و مَن سار على نهجه من الفراعنة السابقين و اللاحقين- الحجة الدامغة يلوذون بأشياء تافهة، وأحكام هابطة، ومواقف منحطّة يتقزز منها الإنسان السوي، و الجماعات المستقيمة، والمجتمعات السليمة .

من الوسائل المنحطّة عن قدسيتها، و تناقضاتها مع قيمة الانسان، و مخالفتها لحكم الميزان، ولمنطق التفريق و التميز بين فئات سليل الحيوان وأبناء الإنسان:

أولاً : التبعية العمياء للأجداد، و إحياء أباطيلهم، و نصبها ديناً قائماً و قائداً لإزالة دين الله(قَالَ مُوسَى أَتَقُولُونَ لِلْحَقِّ لَمَّا جَاءَكُمْ أَسِحْرٌ هَذَا وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُونَ، قَالُوا أَجِئْتَنَا لِتَلْفِتَنَا عَمَّا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا وَتَكُونَ لَكُمَا الْكِبْرِيَاءُ فِي الْأَرْضِ وَمَا نَحْنُ لَكُمَا بِمُؤْمِنِينَ)77-78 سورة يونس.

ثانياً: السَير الأعوج وراء النفس الأمارة بالسوء لنشور الفكر الطيني و عبادة التراب بالتعريف الفرعوني زمن موسى عليه السلام، وصناعة دين وتخريجه من صلب الأحجار والأنهار والأشجار الخالية من الروح و الشعور والضمير، وبَعثُ هذا الدين بين الحين والحين منْ أجداث ثقافة الاستعباد وأنحاء مراقد الجاهلية الهابطة الهالكة (وَلَقَدْ أَرَيْنَاهُ آيَاتِنَا كُلَّهَا فَكَذَّبَ وَأَبَى، قَالَ أَجِئْتَنَا لِتُخْرِجَنَا مِنْ أَرْضِنَا بِسِحْرِكَ يَا مُوسَى)56-57طه (إِنْ هَذَانِ لَسَاحِرَانِ يُرِيدَانِ أَنْ يُخْرِجَاكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ بِسِحْرِهِمَا)62-طه.(إِنَّ هَذَا لَمَكْرٌ مَكَرْتُمُوهُ فِي الْمَدِينَةِ لِتُخْرِجُوا مِنْهَا أَهْلَهَا فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ)123-سورة الأعراف.

الإتجاه الثامن: القذف وكثرة التُهم وتكرارها، والكذب، ورذيلة القيل والقال مثل كون وادعاء أن موسى-عليه السلام- كان ساحراً أو مسحوراً أو فاسداً أو متآمراً على الوطن أو ناوياً إفراغ المدينة من أهلها أو عديم الوفاء أو غير ذلك التي كانت من الوسائل السَمْجة، والأساليب البَشعة الفرعونية لضرب موسى، و رسالته، و مصداقيته، و التشكيك في شخصيته، وشريعته، و شيعته من أتباعه و أوليائه (..لِتُخْرِجَنَا مِنْ أَرْضِنَا بِسِحْرِكَ يَا مُوسَى، فَلَنَأْتِيَنَّكَ بِسِحْرٍ مِثْلِهِ ..)57-58سورة طه(قَالَ لَهُمْ مُوسَى وَيْلَكُمْ لَا تَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا..)61-سورة طه (قَالُوا إِنْ هَذَانِ لَسَاحِرَانِ يُرِيدَانِ أَنْ يُخْرِجَاكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ بِسِحْرِهِمَا)63-طه (وَقَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ أَتَذَرُ مُوسَى وَقَوْمَهُ لِيُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ..) 127-سورة الأعراف(فَقَالَ لَهُ فِرْعَوْنُ إِنِّي لَأَظُنُّكَ يَا مُوسَى مَسْحُورًا)101-سورة الإسراء. فهم كانوا يملكون الوسائل و يحتفظون بالأسباب لكن لم يحملوا غاية شريفة، و لم يحلموا بها أصلاً و " إنما يملكون الوسائل وأنتم تعرفون الغايات، وشتان بين منزلة الوسيلة والغاية "(15).

القوة المادية والعسكرية والاقتصادية أو التكنولوجية عموماً قد تؤدي بالأمم و الشعوب الى سعادة قلبية مرحلية، و فرحة روحية زمنية منتهية(رغم أن القوى المادية العالمية والمحلية المستثمرة في إنتاج مجتمع بشري حجري في فكره، وحديدي في إحساسه وإنجازه و أهدافه لا يعطي مقعداً لأفراح الأرواح، ولا منطقة آمنة لانشراح القلوب، ولا مَسكناً مأموناً لإطراب النفوس)أو إطلالة سياسية ظرفية، وتألق إعلامي محدود العمر، و معدود الأيام، لكنْ لا تؤدي أبداً الى الاستقرار النفسي الدائم، و لا الى الطمأنينة الأسرية العامة الشاملة، و لا الى السكينة المجتمعية الخالدة، و لا الى ضمان يشعر المرء به أن العوالم حولها، والأكوان جميعها، والمخلوقات بكلّ أجزائها و سلالاتها تدور دوراً مسيّراً حول خدمة الإنسان، و رفعة الإنسان، و مستقبل الإنسان، و خلود الإنسان بشخصيته المعنوية في الدنيا، و شخصيته الكلية الثنائية-الروحية الجسدية- في الآخرة " لا تخلو أمة من الأمم التي بعث الله اليها رسله من الابداع الدنيوي في أحد الفنون المدنية، ومع ذلك كله، فقد بعث الله الأنبياء ؛ ليخرجهم من الظلمات الى النور، والقارئ للحظات النبوات في القرآن يشاهد دوماً كيف أنّ القرآن يُصور الأمم بأنهم في الضلال والظلمات والانحطاط على الرغم من قوتهم وإمكانياتهم ومظاهر المادية التي بيدهم، ويؤكد أنبياؤهم لهم حاجتهم الى أنوار الوحي"(16) .

الاتجاه التاسع: إن مما عزم عليه فرعون من الإمساك به كوسيلة لإنهاء رسالة موسى و إنهاء مَن معه من الجنود المؤمنين وفَك ارتباط بعضهم ببعض محاولته قتل موسى-عليه السلام-شخصياً، و في القرآن الكريم صور تروي، و مشاهد تحكي تلك المحاولات اليائسة والفاشلة، منها في زمن كان فيه موسى رضيعاً لا أحد يحول عنه الإضرار به الاّ الله سبحانه (وَقَالَتِ امْرَأَتُ فِرْعَوْنَ قُرَّتُ عَيْنٍ لِي وَلَكَ لَا تَقْتُلُوهُ عَسَى أَنْ يَنْفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ)9-القصص،(وَقَالَ فِرْعَوْنُ ذَرُونِي أَقْتُلْ مُوسَى وَلْيَدْعُ رَبَّهُ..)26-غافر، ومنها عندما كان موسى-عليه السلام-في ذروة دعوته وقمة صيحته في وجه فرعون، وما أن ملأ قلبه بالذعر والفزع جعله ينوي قتل موسى-عليه السلام- وإهدار دمه، لكن لعجزه التام على القيام بفعلته تَحايَل و تَماكَر هروباً من مواجهة الحجة بالحجة، و بالبيان، وَ راوغ مراوغة الجبان قاصداً سَتر

ضعفه وإبطان صَغاره أمام القوة القاهرة والمعجزة الباهرة وراء رسالة موسى-عليه السلام- و"قالوا له ليس هذا بالذي يُخاف منه، وهو أضعف من ذلك شأنًا، وما هو إلا ساحر يصاوله ساحر مثله، وإنك إن قتلته..أدخلت الشبهة في نفوس الناس، واعتقدوا أنك عجزت عن مقابلة الحجة بالحجة، وما يزالون به هكذا يحاورونه ويدارونه حتى يكف عن قتله. و ربما يكون قد قال ذلك تمويهًا على قومه، وإيهامًا أن حاشيته هُم الذين يكفونه عن قتله، وما يكفّه عن ذلك إلا ما في نفسه من هول الفزع الذي استحوذ عليه"(17) . ومنها أن الظلم الفرعوني و قهره وقتله للناس وصل إلى درجة دفع أناساً من آل فرعون للإيمان بموسى سراً، والتعاطف مع رسالته، و التعاون معه حتى لو أدّى الى الكشف عن إيمانهم و ولائهم ودفاعهم عنْ موسى-عليه السلام- (وَقَالَ رَجُلٌ مُؤْمِنٌ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَانَهُ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ..)28-سورة غافر .

هلاّ نظرتم الى الآيات القرآنية الحاكية عن موسى و هارون و دعوتهما، لَيتَكم تعمقتم في مغزى الآيات و السور الحاملة لقصة أهم صراع، و أكبر نزاع، و أوسع قتال(من طرف واحد) بين جهتين، الحق من جهة والباطل من الجهة الأخرى، و كانا على رأس الجهتين موسى ممثل السماء بكل نقائه و صفائه، و فرعون ممثل الخبث و الخبائث في الأرض، و عند القليل من التعمق على ماذا نحصل؟ نحصل على أنّ موسى كان سلاحه الدعوة بالكلمة ، والتنذير بالمعجزة، و التبشير بالوعظ و النصيحة، و التدليل بإبطال سحرهم و إفكهم بالقوة المعنوية الغيبية المرنة الشاهدة على صدق الرسول وكذب المرسل اليهم من فرعون و أتباعه، ولم يكن معه سلاح عنفي، و لا قوة مادية باطشة، ولا جيش عرمرم يقاتل به فرعون، يسحق به عرشه وعليائه وغروره، بل كان القتل والقتال، و فرض الموت و الإفناء من طرف واحد فقط، طرف فرعون و من معه، مع ذلك الضعف الكثير و الكبير تحمّل موسى(عليه السلام) كلّ ذلك رغم قلة السالكين معه، و ندرة المستنصرين له، و تردد و قلق المؤمنين به والشكوك التي تساورهم في كثير من المواقف.

الإتجاه العاشر: اثارة عاطفة موسى(عليه السلام) والمنّ عليه بتذكيره بما أسدى اليه أيام كان رضيعاً ووقع بين أيدي جلاّديه و كادوا يقتلونه، ولم يفعلوا، و زمان كان شاباً قوياً في كنف فرعون وأنّه لم يُصبْ بأذى، علّه يتحرّج و يستذكر حاله ثمّ يأخذه الخجَل، و يمنعه الحياء، و يتوقف عن دعوته الى دين الله، و يترك دعوته لتحرير بني اسرائيل من طغيان فرعون وفاء لما قدّمه له من الخبز و الغذاء و إبقائه على قيد الحياة!، يبدوا أن الدين و الحرية و الكرامة عند فرعون أقلّ شأناً، و أخسّ ثقلاً من الخبز، و الحليب، و الكساء، كما يمن دائماً طواغيت ما بعد فرعون على الناس بالراتب، والرتب، و الرايات مقابل عبوديتهم لهم، والتدّين بدينهم، ومخالفتهم لدين الله في كل صغيرة وكبيرة. (قَالَ أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا وَلَبِثْتَ فِينَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ،وَفَعَلْتَ فَعْلَتَكَ الَّتِي فَعَلْتَ وَأَنْتَ مِنَ الْكَافِرِينَ)18-19 سورة الشعراء . و صلى الله على سيدي و مولاي محمد و على آله و صحبه أجمعين .

## النتائج

1-لقد رَبَط القرآن الكريم و جَمَع بين المقصد و وسائله، والغاية وأسبابها بشكل متوازن و مستقيم و دائم .

2-للوسيلة بُعدان ثنائيان عامان، بُعد إستدرائي واستبعادي، وبها إستبعاد لكلّ الغايات الفاسدة، والخطط المبيَّتة السيئة، وبُعد استجلابي واستحفاظي وبها تُستجلب كلّ الغايات الطيبة، والفوائد الخالصة.

3- أنّ للوسيلة عند التجزئة و التفصيل بُعداً عقدياً، وبُعداً أصولياً، وبُعداً رسالياً، وبُعداً جماعياً، وبُعداً علمياً، و بُعداً مقاصدياً، و بُعداً حضارياً و هي سبعة بالتمام حسب قراءتنا.

4- للوسيلة والإبداع فيها، وإيداعها في مساقاتها، والانجاز الفكري والفعلي بها تصل الى مكانة المقاصد ودرجاتها في الحل والحرمة والوجوب والاستحباب و الكراهة .

5-جمع فرعون بين شيئين اثنين هما: فساد القصد وفساد الوسيلة، والفرعونية في كلّ زمان ومكان تجمع بين إفساد النوايا والمقاصد، وبين إفساد الوسائل والأسباب، فهم مدانون و مجرمون من الجهتين.

6-كان لفرعون في تبشيراته الإشراكية، وانذاراته الإرهابية، ودعواته الإضلالية وسائل عديدة، وكيفيات غزيرة، وطرق قاسية وصَخْرية، منها مادية ومنها معنوية، كما أنّ منها وسائل سياسية واجتماعية واقتصادية، وكذا من بينها وسائل نفسية وفكرية وعقدية، وكان على قمتها وسائلها الإعلامية الإفترائية لتزوير الحقائق، وتشويه الوقائع.

7- القرآن الكريم ذكر بشكل مفصّل أوجه الوسائل للدعوة الفرعونية التي جمعتها و أصّلتها و سميتها بـ(الإتجاهات العشر)

## الهوامش

(1) غمرات المقاصد بحوث في ترسيخ الوعي المقاصدي أ.د قُطب الريسوني، دار المَيمان للنشر و التوزيع، السعودية-الرياض، البحث الثالث تحت عنوان: الترجيح بين الوسائل مسالكه, و ضوابطه، و عوائده . ط1، 1440هـ-2019م، ص 137.

(2) التفسير الوسيط للقرآن الكريم، لمحمد سيد طنطاوي، دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، الفجالة – القاهرة، ط1، 1997-1998،ج3ص283 .

(3) باختصار التفسير الوسيط للقرآن الكريم. ج3ص290.

(4) التفسير الوسيط للقرآن الكريم ج3ص292.

(5) قواعد الوسائل في الشريعة الاسلامية-دراسة اصولية في ضوء المقاصد الشرعية ، رسالة دكتوراه، د. مصطفى بن كرامة الله مخدوم، دار اشبيليا للنشر و التوزيع، المملكة العربية السعودية –الرياض، ط1، 1420هـ-1999م. ص107.

(6) كليات رسائل النور- المثنوي العربي النوري، تأليف بديع الزمان سعيد النورسي، ترجمة إحسان قاسم الصالحي، دار سوزلر للنشر ط7-2013- جمهورية مصر العربية، ج 6 ص262.

(7) بتصرف ..كليات رسائل النور-الكلمات، تأليف بديع الزمان سعيد النورسي، ترجمة احسان قاسم الصالحي، دار سوزلر للنشر ط7-2013- جمهورية مصر العربية -ج1 ص712.

(8) بتصرف.. كليات رسائل النور- الشعاعات، تأليف بديع الزمان سعيد النورسي، ترجمة احسان قاسم الصالحي، دار سوزلر للنشر ط7-2013- جمهورية مصر العربية -ج4 ص338.

(9) بديع الزمان سعيد النورسي وجهوده الدعوية، دراسة وصفية تحليلية بحث غير منشور نال به صاحبه خيرالله حسن محمد على درجة الدكتوراه بإشراف أ.د محمد زين الهادي العرمابي من جامعة القرآن الكريم والعلوم الاسلامية-كلية الدعوة والاعلام- من جمهورية السودان، 1438هـ-2017م. ص190، وهو نقله بدوره من كلام البروفسيور محمد زين الهادي العرمابي السوداني من كتابه الدعوة الاسلامية الشمول الاستيعاب ص250-252.

(10) بتصرّف قليل من التفسير الوسيط للطنطاوي ج12ص287 .

( 11) باختصار، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني،شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي (المتوفى: 1270هـ)، المحقق: علي عبد الباري عطية دار الكتب العلمية-بيروت ط1415،1هـ،ج1 ص255 .

(12) تفسير أبي السعود = إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، أبو السعود العمادي محمّد بن محمّد بن مصطفى (ت 982هـ)، دار إحياء التراث العربي – بيروت بدون سنة الطبع . ج7 ص2 .

(13) محاسن التأويل، محمد جمال الدين بن محمد سعيد بن قاسم الحلاق القاسمي (ت: 1332هـ)، المحقق: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية - بيروت ط1 – 1418هـ، ج7 ص131.

(14) التعصّب والتسامح بين المسيحية والاسلام –دحض شبهات وردّ مفتريات محمد الغزالي دار القلم، دمشق ،ط1440،3-2019م-ص104 .

(15) التفسير القرآني للقرآن، عبد الكريم يونس الخطيب (ت بعد 1390هـ)، دار الفكر العربي– القاهرة. ج9ص916 .

(16) مآلات الخطاب المدني ابراهيم عمر السكران ص66.

(17)تفسير حدائق الروح والريحان في روابي علوم القرآن، الشيخ العلامة محمّد الأمين بن عبد الله الأرمي العلوي الهرري الشافعي، إشراف ومراجعة: الدكتور هاشم محمد علي بن حسين مهدي، دار طوق النجاة، بيروت- لبنان ط1، 1421 هـ - 2001م، ج25ص164 .

## المصادر


1-القرآن الكريم

2-تفسير الوسيط للقرآن الكريم لمحمد سيد طنطاوي، دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ط1، 1997-1998

3- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، لشهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي (ت 1270هـ)، المحقق: علي عبد الباري عطية دار الكتب العلمية-بيروت ط1-1415هـ.

4- محاسن التأويل، لمحمد جمال الدين بن محمد سعيد بن قاسم الحلاق القاسمي (ت 1332هـ)، المحقق: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية - بيروت ط1 – 1418هـ

5- تفسير حدائق الروح والريحان في روابي علوم القرآن، لشيخ العلامة محمّد الأمين بن عبد الله الأرمي العلوي الهرري الشافعي، إشراف ومراجعة: الدكتور هاشم محمد علي بن حسين مهدي، دار طوق النجاة، بيروت- لبنان ط1، 2001 م.

6- تفسير أبي السعود = إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، أبو السعود العمادي محمّد بن محمّد بن مصطفى (ت982هـ)، دار إحياء التراث العربي – بيروت بدون سنة الطبع.

7- التفسير القرآني للقرآن، عبد الكريم يونس الخطيب (ت بعد 1390هـ)، دار الفكر العربي – القاهرة.

8- بديع الزمان سعيد النورسي وجهوده الدعوية، دراسة وصفية تحليلية، بحث غير منشور نال به صاحبه خيرالله حسن محمد على درجة الدكتوراه باشراف أ.د محمد زين الهادي العرمابي من جامعة القرآن الكريم والعلوم الاسلامية-كلية الدعوة والاعلام- من جمهورية السودان، 1438هـ-2017م

9- كليات رسائل النور-الكلمات، تأليف بديع الزمان سعيد النورسي، ترجمة إحسان قاسم الصالحي، دار سوزلر للنشر ط7-2013-جمهورية مصر العربية.

10- كليات رسائل النور- الشعاعات، تأليف بديع الزمان سعيد النورسي، ترجمة إحسان قاسم الصالحي، دار سوزلر للنشر ط7-2013-جمهورية مصر العربية

11- كليات رسائل النور- المثنوي العربي النوري، تأليف بديع الزمان سعيد النورسي، ترجمة إحسان قاسم الصالحي، دار سوزلر للنشر ط7-2013- جمهورية مصر العربية.

12-التعصّب والتسامح بين المسيحية والاسلام –دحض شبهات وردّ مفتريات محمّد الغزالي دار القلم ،دمشق ،ط2019،3م

13- مآلات الخطاب المدني، ابراهيم عمر السكران، دار الحضارة للنشر والتوزيع، الرياض، ط2/ 1437هـ-2016م.

14- قواعد الوسائل في الشريعة الاسلامية-دراسة اصولية في ضوء المقاصد الشرعية ، رسالة دكتوراه، د. مصطفى بن كرامة الله مخدوم، دار إشبيليا للنشر و التوزيع، المملكة العربية السعودية –الرياض، ط1، 1999م .

15- غمرات المقاصد بحوث في ترسيخ الوعي المقاصدي أ.د قُطب الريسوني، دار المَيمان للنشر و التوزيع، السعودية-الرياض، ط1، 2019م. البحث الثالث تحت عنوان: الترجيح بين الوسائل مسالكه, و ضوابطه، و عوائده .